العميل

للشيخ خالد الراشد

الباب الأول: العودة إلى الوطن

إنه العميم لفظيمة الشيخ خالد الرافق. أحبتي، كما سقت لكم من قبل قصة حسان من بلاد الحرمين، فإليكم قصة حسان الأخيرة من بلاد الأقصى، من أولى القُدَرتين.

في أحد أحياء القدس الشرقية القديمة، توقفت سيارة أجرة أمام دار تسكنها عجوز تعرف بـ"أم حسان". نزل من السيارة حسان وزوجته وابنهما الصغير أحمد.

عاد حسان من أمريكا بعد أن أكمل دراسته الجامعية والدراسات العليا، حتى أصبح دكتورًا في تخصصه. وعند نزوله من السيارة، تلفت بحثًا عن رفقائه وأقاربه، فلم يجد شيئًا. تغير كل شيء، وأصبح كل شيء حزينًا، حتى والدته لم يجدها في انتظاره أمام البيت كما كان يتوقع.

لاحظ دماء على الجدران الملطخة، وغض الطرف عنها وعن الدمار حوله، وعن مستوطنات اليهود الملاصقة لبيته، ناسيًا المزارع والبساتين التي كان يلعب فيها.

قالت له زوجته: "هل سنبقى واقفين هكذا؟"

فأجابها: "لا، تقدمي، فها هي الدار أمامك."

دخل حسان وزوجته وابنهما البيت، ووجد أمّه مقعدة على كرسي، وقد أنهكها المرض. قبل يديها ورأسها، وفعلت زوجته كذلك. أما أحمد، فوقف بعيدًا، فنادته جدته: "آل يا أحمد."

أخرجت له حلوى وقالت: "هذه حلوى فلسطين يا أحمد." فتقدم أحمد إلى حضن جدته، وضمته إلى صدرها وهي تبكي قائلة: "هذه أرضك يا صغيري."

فرح حسان بأن والدته وجدت في أحمد ما يسليها، رغم أنه لم يشعر بفرحها كما كان يتوقع.

الباب الثاني: الحياة الجديدة

بعد أيام، قدم الدكتور حسان أوراقه إلى شركة عالمية في القدس الغربية يمتلكها اليهود، وتم قبوله، وأصبح يعمل مخلصًا لهم، كما انضم إلى إحدى القنوات الإخبارية كمحلل سياسي وخبير في شؤون المنطقة.

كبر أحمد، وقرر والداه أن يلتحق بمدرسة أجنبية داخلية، لكن الجدة رفضت وأصرت أن يلتحق بمدرسة القرية. فوافق حسان. فرح أحمد لأنه أحب جدته وحكاياتها.

مع بداية الدراسة، بدأ أحمد صفحة جديدة من حياته، لكنه سمع قصصًا حزينة كل يوم عن أصدقائه:

محمد قتل أبوه على يد اليهود.

وائل أصيب برصاص الاحتلال، وإصابته خطيرة.

ماذن فقد بيته ويبكي كلما تذكره.

حازم أصيب بانهيار عصبي بعد مقتل جميع أفراد أسرته.

أثقلت هذه الأخبار قلب أحمد، الذي عاش سنواته الأولى في أمريكا بعيدًا عن هذا الواقع.

الباب الثالث: مواجهة الاحتلال

في أحد الأيام، عاد حسان إلى المنزل ووجد أحمد حزينًا وشارد الذهن. سأله: "فيما تفكر يا أحمد؟"

أجاب أحمد ببراءة: "أبي، ماذا تعني كلمة عميل؟ الأطفال في المدرسة يقولون لي إنك عميل لليهود."

غضب حسان، ثم ابتسم ابتسامة صفراء وقال: "لا عليك يا أحمد، إنهم يحسدون أبيك ويحقّدون عليك. أنت ابن الدكتور الذي ناضل من أجل العلم."

أراد حسان تسجيل موقف أخلاقي وتعليمي، فناقش أحمد حول التعليم والمدرسة الأجنبية، ورفض أحمد الالتحاق بها، مستشهدًا بكلمات المعلم حول وصف اليهود في القرآن.

في يوم من الأيام، تعرض أحمد لإطلاق نار من قبل جندي يهودي أثناء تواجد حسان أمام منزلهم، فأصيب في صدره، وسقط بين يدي والده. وأصيب حسان أيضًا بضربة على رأسه، لكنه استعاد وعيه لاحقًا.

نُقل أحمد إلى المستشفى في حالة حرجة، ووجد حسان أمام مشهد مأساوي، حيث كان الغرفة مليئة بالمصابين والضحايا من مختلف الأعمار.

الباب الرابع: الفقدان والرحيل

لاحظ حسان ابتسامة أحمد رغم الغيبوبة، وهي الابتسامة التي لم يرها منذ زمن طويل. تذكر أحمد وهو صغير يسأله عن فلسطين والأقصى، وقال في نفسه: "متى نعود يا أبي إلى أرضنا؟"

بعد ساعات، توفي أحمد، وخيم الحزن على البيت، وبكت الجدة والأم بحرقة، وبكى حسان معهم

في ليلة مظلمة، وترك حسان رسالة لزوجته قبل أن يغادر المنزل، كتب فيها:

"أم أحمد، لقد اشتقت إلى أحمد، غدًا نلتقي في الجنان بابن الرحمن. كل امرئ بما كتب رهين. اعلمي أن الله مع المؤمنين."

الباب الخامس: الانضمام إلى المقاومة

بعدها، انضم حسان إلى كتائب عز الدين القسام، وقام بعملية بطولية، مثبتًا للجميع أنه لم يكن عميلًا، بل بطلًا من الأبطال.

واختتم القصة بالدعاء:

"اللهم انصر المجاهدين في سبيلك، واخذل الأعداء والخونة والعملاء، وطهر بلادنا ومقدساتنا، وامنحنا الصبر والثبات."

النص الكامل للمحاضرة

العميل

احبتي كما سقت لكم من قبل قصة حسان من بلاد الحرمين في شريط من حال الى حال فاليكم قصة حسان اخر. لكن من بلاد الاقصى من اولى القدرتين.

فاليكم القصة التي بعنوان العميم. هناك في ارض فلسطين. وفي احد احياء القدس الشرقية القديمة.

وقفت سيارة اجرة امام دار تسكنها عجوز تعرف بام حسان. نزل من السيارة حسان وزوجته. وابنهما الصغير احمد.

لقد عاد حسان من امريكا بعد ان اتم دراسته الجامعية والدراسات العليا هناك. حتى اصبح دكتورا في تخصصه. وجع حسان بعد غياب.

فتلفت بعد ان نزل من السيارة في الاجرة. تلفت يبحث عن رفقائه. واقربائه.

فلم يرى شيئا. لقد تغير كل شيء اصبح كل شيء حزينا. ولا شيء هناك يدعو للفرح.

حتى امه حتى امه لم يجدها امام البيت تنتظره كما كان يتوقع. شعر بخيبة الامل. تغفال الفرحة التي جاء بها.

نفس البيت الصغير. والشوارع الضيقة. الا انه لاحظت دماء لاحظت دماء التي لطخت الجدران من حوله.

فغضى الطرف عنها. وغضى الطرف عن الجدران المهدمة. والنوافذ المحطمة.

وغضى الطرف عن مستوطنات اليهود. التي اصبحت ملاصقة لداره. نسي المزارع والبساتين.

التي كان يلهو ويلعب فيها مع رفقائه ايا مصيباه. قالت له زوجته. هل سنبقى واقفين هكذا؟ فالتفت اليها قائلا لا لا تقدمي فها هي الدار امامك.

دخل حسان وزوجته وابنهما احمد. ووجد امه مقعده. على كرسي وقد اعياها المرض.

قبل يديها ورأسها وكذا فعلت زوجته. اما احمد. فوقف بعيدا.

ولم يتقدم. فنادته الجدة. فآل يا احمد.

فآل يا احمد. واخرجت له حلوى وقالت له. هذه حلوى فلسطين يا احمد.

هذه حلوى فلسطين يا احمد. تقدم احمد الى اخضان جدته. فضمته الى صدرها وهي تبكي وتقول له هذه ارضك يا صغيري.

وها قد عدت اليها. لم يشعر حسان بان امه قد فرحت في قذومه كثيرا. لكنه فرحا بانها وجدت في احمد ما يسليها.

بعد ايام قدم الدكتور حسان اوراقه الى شركة عالمية في القدس الغربية يمتلكها اليهود. وتم قبوله. واصبح يعمل مخلصا لليهود.

كما تقدم الى احدى القنوات الاخبار ليعمل كمحلل سياسي وخبير في شأن المنطقة. ومرات الايام كبر احمد. وقرر حسان وزوجته ان ينفقاه بمدرسة اجنبية داخلية.

لكن الجدة رفضت. واصرت ان يلتحق بمدرسة القرية. وامام اصرارها وافق حسان.

فرح احمد الذي احب جدته واحب حكاياتها. فهو لن يقيب عنها بعد اليوم. ومع بداية الدراسة حمل احمد حقيبته.

وسار الى المدرسة ليبدأ صفحة جديدة من حياته. تعرف خلالها على العديد من الرفقاء عاش خلالها الكثير من القصص الحزينة التي يسمعها كل يوم.

كان يسمع اخبار رفقائه الصغار.

محمد لن يعود الى المدرسة. فقد قتل اليهود اباه. وهو الان يعمل لينفق على اسرته.

وائل اصيب برصاص الاحتلال. واصابته خطيرة. وربما لن يعود الى المدرسة مرة ثانية.

ماذن؟ هدم اليهود منزلهم. وهو يبكي كلما تذكر ذلك. حازم اصيب بانهيار عصبي.

فقد قتل اليهود جميع افراد اسرته. امام عينيه. قصص وقصص لم يتحملها قلب احمد.

والذي عاش في امريكا سنوات عمره الاولى. وفي يوم من الايام. عاد حسان الى منزله.

فوجد احمد حزينا شارد الذهن يفكر. ناداه فلم يجب. فاقترب منه حتى انتباه.

قال له فيما تفكر يا ابني. فيما تفكر يا احمد. اتفت الى ابيه.

وقال في براءه. ابي. ابي.

ماذا تعني كلمة عميل؟ ابي. ابي. ماذا تعني كلمة عميل؟ اتفت اليه الاب.

وقال لماذا تسأل يا احمد؟ قال في تردد وخوف. الاطفال في المدرسة يقولون لي ان اباك عميل لليهود. ان اباك عميل لليهود.

فغضب حسان. ثم ابتسم ابتسامة صفراء وقال لا عليك يا احمد. انهم يحسدون اباك.

ويحقدون عليك. فانت ابن الدكتور الذي كافح وناضل من اجل العلم حتى عاد بالدكتوراه والمكانة المرموقة في المجتمع. ثم قال لا تلتفث الى ما يقول هؤلاء الاوغاد.

وغدا سوف اقدم اوغادك الى المدرسة الاجنبية. فهناك التعليم افضل يا احمد. اجاب احمد بسرعة قائلا لا يا ابي.

لا اريد ان اكون مع احفاد القرادة والخنازير. لا اريد ان اكون مع احفاد القرادة والخنازير. فقال الاب وما قال انهم احفاد القرادة والخنازير.

قال احمد المعلم دائما يردد هذه العبارة. ويقول ان القرآن وصف اليهود بهذا الوصف. فقال الاب القرآن وصف اليهود الذين ظهروا في زمن موسى عليه السلام بهذا الوصف.

اما اليهود اليوم فهم اكثر حضارة ورقي من المسلمين انفسهم. فقال احمد لكنهم اغتصبوا ارضنا. لكنهم اغتصبوا ارضنا يا ابي.

وسفكوا دماء شعبنا. ويريدون ان يهدموا المسجد الابصى. فقال الاب كفى يا احمد كفى.

قالها غاضبا. ثم قال هذا كذب. ويرد ان المعلمة قد افسدك.

لن تذهب الى المدرسة بعد اليوم. بعد اليوم. فاليوم التالي عاد حسان الى المنزل تظاهرة.

بعد معاناة شديدة. مع الحصار ونقاط التبتيش. تبتيش.

القى بجسده على السريط. لكنه سرعان ما قام مدعورا. فلقد سمع صوت ارتطام.

وانكسار لاحد النوافذ. خرج مسرعا. وقد بلغ منه الغضب مبلغا عظيما.

فوجد اطفال الحجارة يرمون جنود الاحتلال ويختبئون خلف المنازل القريبة. صرخ فيهم ايها الاوغاد ابتعدوا من هنا. وراح يرميهم بالحجارة.

خرب الاطفال من امامك. الا طفلا واحدا انطلق نحوه وهو يصيح. ابي.

ابي. هؤلاء ليسوا باوغاد. هؤلاء.

ليسوا باوغاد. الاوغاد هناك. هناك.

الاوغاد والاعداء هناك. من خلفك يا ابي. الاعداء هم اليهود.

احفاد القرد هو الخنازير. انتفت حسان الى الخلف. فرأى جنديا يهوديا.

يصود بنذقيته نحو احمد. فانطلق يدي وهو يصرخ. لا.

لا توقف. انه ابني. انه احمد.

لكن الرصاص انطلقت. انطلقت. لتستقر في صدر احمد.

الذي سقط بين يدي ابيه. وما هي الا لحظات. واذا بضربة بعقب البندقية من الجندي اليهودي تهوي على رأس حسان.

تصرعه بجانب ابنه. فغاب عن الوعي. افاق حسان من غيبوبته.

فوجد ام احمد بجانبه تبكي. فقال واول ما نطق اين احمد؟ اين احمد؟ كانت الاجابة احمد في المستشفى. وحالته خطيرة جدا.

جرت الدموع على خده. واغمض عينيه. وراح يتذكر صورا من الماضي البعيد.

ها هي صورة جده الذي قتله اليهود. وتذكر صورة ابيه الذي غيبت في السجون. وتذكر اصحابه الذين غابوا او غيبوا فلم يجدهم عندما عاد.

تذكر صورة احمد وهو يصيح. الاعداؤهم اليهود. الاعداؤهم احفاظ القردق والخنازير.

على بكاء حسان. وارتفع نحيبه. واخذ البكاء يزداد.

وهو يتذكر كلمة عميل. ماذا تعني كلمة عميل؟ مسكين انت يا احمد. كم كنت تعاني؟ وانا لا اشعر بك.

في الصباح. كتب حسان خطابا. ووضعه في ضرف وخرج من بيته متوجها الى مقب عمله.

وعند البوابة استدعاه حارس الامن وسلمه خطابا من الشركة. قرأ حسان الخطاب. فاذا هو قرار بالفصل والسبب ان ابنه من الارهابيين.

السبب ان ابنه من الارهابيين. اذا فاندعهم ينتهكون عرابنا. ويهتمون مقدساتنا.

مدق الخطابة. ومد يديه الى الخطاب الذي كتبه. ومدقه ايضا.

ثم عاد الى الوراء. متوجها الى المستشفى. وفي غرفة العناية المركزة.

والتي لم يبقى ما يدل على انها غرفة عناية مركزة الا الورق المعلقة على الباب. الضحايا في كل مكان. صغارا وكبارا.

رجالا وشيوخا ونساء. الاحات تنبعث من كل جزء في القرفة. حركة دائبة.

مصاب قد مات. ومصاب جديد قد وصل. توجهنا هو احمد.

وجده في غيبوبة تامة. لكنه قد وجد على وجهه ابتسامة. لم يرها عليه منذ زمن طويل.

وجد على وجهه ابتسامة. لم يرها على وجهه منذ زمن طويل. جرت الدموع حارة.

جرت الدموع حارة على عينيه. وشعر بحرفها. تذكر احمد صغيرا وهو يقول له حدثني يا ابي عن فلسطين.

حدثني عن الاقصى. ومسر الرسول. متى يا ابي نعود؟ متى يا ابي نعود الى ارضنا؟ اكب على وجهه يقبله.

ويقبل كل ما يصل اليه من جسده. فكى حسان في حرقة وراح يردد. الاعداؤهم اليهود.

الاعداؤهم اليهود. وما لبث احمد الا ساعات ومات. وما لبث احمد الا ساعات ومات.

وخيم الحزن في البيت الصغير. وبكت كل جدة بحرقة والم. وكذا بكت في الام.

وبكى معها حسان. مرت ايام وشهور. وفي ليلة مضى نصفها.

وحسان يتقلب في فراشه. ينظر الى وجه زوجته والتي غابت عنها الابتسامة منذ غاب عنها احمد. اخذ ينظر الى الساعة.

وهي تسير ببطء شديد. نحو الساعة الواحدة. وعند تمام الواحدة قام بهدوء وانسل من الفراش.

لبس ملابسه. والقى نظرة اخيرة على زوجته. ووضع بجانبها ظرفا فيه رسالة.

ثم خرج من المنزل. وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضا. قامت ام احمد عند الفجر.

فلم تجد حسان. لم تجد زوجها. ووجدت الرسالة بجانبها.

فتحت الرسالة. وقرأتها. بسم الله الرحمن الرحيم.
ام احمد لقد اشتقت الى احمد. ام احمد لقد اشتقت الى احمد. غدا نلتقي في الجنان بابن الرحمن.
غدا نلتقي في الجنان بابن الرحمن. اما قال الله والذين امنوا. واتبعتهم ذريتهم بايمان.
الحقنا بهم ذريتهم. وما التناهم من عملهم من شيء. كل امرئ بما كتب رهيم.
خرجت مسرعة. تناديت الظلام. حسان حسان.
لكن حسان مضى. منذ ساعات. ووراه الظلام.
ليبزغ فجر جديد. فلقد انضم حسان منذ شهور الى كتائب عز الدين القسام. وقام في تلك الليلة بعملية من اروع العمليات.
واثبت للجميع انه ليس بعميل. اثبت للجميع انه ليس بعميل. بل هو بطل من الافطار.
بل هو بطل من الافطار. وعندنا مثل حسان كثير. كثير.
فنحن خير امة اخرجت للناس. للناس. يا ارحم الراحمين.
ويا قيوم السماوات والاراضيين. ليس لنا رب السواك فندعوه. ليس لنا رب السواك فنرجوه.
رحمك باخواننا في فلسطين في العراق في كشمير في السلبين في كل مكان يا رب العالمين. انصر من نصر الدين. واخذل من خذل عبادك الموحدين.
وانصر المجاهدين في سبيلك. الذين يقافلون من اجل اعلاء كلمات الدين. انصر من نصرهم.
واخذل من خذلهم. عليك بالعملاء والخوانة. ومن اونهم يا رب العالمين.
اللهم عليك باليهود ومن اودهم. والنصارى ومن ناصرهم. والشيوعيين ومن شائعهم.
اخرج من بلادنا ومن بلاد المسلمين. احرى وانكرما شرفاء. يدودون عن الاعراض.
ويحمون المقدسات. يا رب العالمين. اللهم طهر اجسانا.
اللهم طهر اجسانا. ولا تحرمنا سجدات فيه يا رب العالمين. عاجلا غير عاجل يا قيوم السماوات والاراضيين.
اليك نشكو ضعفنا. وقلة حيلتنا. وهواننا على الناس.
انت رب المستضعفين. انت رب المستضعفين. انت ربنا.
الى من تكلنا. الى بعيد يتأجمنا. ام الى عدو ملتفه امرنا.
ان لم يكن بك علينا غضب لا نبالي. ولكن رحمتك هي اوسع لنا يا رب العالمين. عليك توتنا.
اليك انبنا. اليك المصير. عباد الله.
ان الله يأمر بالعجل والاحسان. وايثائد القرباء. وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.
يعذبكم لعلكم تذكرون. فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم. اشكروه على نعمه يددكم.
ولذكر الله اكبر. والله يعلم ما تسمعون.